

روح المعاني

فكأنه قيل كلما نصحت جلودهم أحرقناها وأفنيناها وخلقنا لهم غيرها وبعض بأن المراد كلما نصحت جلودهم كمال النصح بأن يبلغ شيها إلى حد لو بقيت عليه لا يحس صاحبها بالعذاب وهو مرتبة الإحتراق بدلناهم الخ ويدل على ذلك قوله تعالى ليدوقوا العذاب وقال الخفاجي : أوجب بأنه يجوز أن يحصل لجلودهم تارة النصح وتارة الإفناء أو كل منهما في حق قوم على أنه لا سد لباب المجاز بأن يجعل النصح عبارة عن مطلق تأثير النار إذ لا يحصل في ابتداء الدخول غير الإحراق دون النصح ا هـ ولا يخفى ما في قوله بأن يجعل : النصح عبارة عن مطلق تأثير النار من المساهلة وفي قوله : إذ لا يحصل الخ منع ظاهر وذكر أنه أورد على الجواب الأول أن كلمة كلما تنافيه وفيه بحث فتأمل وربما يتوهم أن بين هذه الآية وقوله تعالى لا يخفف عنهم العذاب تعارضا لأن الخبو يستلزم التخفيف وهو مدفوع بأن الخبو سكون اللهب كما سمعت واستلزمه تخفيف عذاب النار ممنوع على أن لو سلمنا الإستلزام والعذاب الذي لا يخفف ليس منحصرًا بالعذاب بالنار والإيلام بحرارتها وحينئذ فيمكن أن يعوض ما فات منه بسكون اللهب بنوع آخر من العذاب مما لا يعلمه إلا الله تعالى وذكر الإمام أن قوله سبحانه زدناهم سعيرا يقتضي ظاهره أن الحالة الثانية أزيد من الحالة الأولى فتكون الحالة الأولى تخفيفا بالنسبة إلى الحالة الثانية وأجاب بأنه حصل في الحالة الأولى خوف حصول الثانية فكان العذاب شديدا ويحتمل أن يقال : لما عظم العذاب صار التفاوت الحاصل في أثنايه غير مشعور به نعوذ بالله تعالى منه ا هـ وقد يقال : ليس في الآية أكثر من ازدياد توقده ولعله لا يستلزم ازدياد عذابهم والمراد من الآية كلما أحرقوا أعيدوا إلا أنه عبر بما عبر للمبالغة ويشير إلى كون المراد ذلك قوله تعالى زدناهم دون زدناها فتدبر ذلك أي العذاب المفهوم من قوله سبحانه كلما خبت زدناهم سعيرا أو إلى جميع ما ذكر من حشرهم على وجوههم وبكما وصما الخ والمفهوم مما ذكرنا مندرج فيه جزاؤهم بأنهم أي بسبب أنهم كفروا بآياتنا القرآنية والآفاقية الدالة على صحة الإعادة دلالة واضحة أو على صحة ما أرسلناك به مطلقا فيشمل ما ذكر و ذلك مبتدأ أو جزاؤهم خبره والظرف متعلق به وجوز أن يكون جزاؤهم مبتدأ ثانيا والظرف خبره والجملة خبر لذلك وأن يكون جزاؤهم بدلا من ذلك أو بيانا والخبر هو الظرف وقيل ذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك وما بعده مبتدأ وخبر وليس بشيء وقالوا منكبين أشد الإنكار أذا كنا عظاما ورفاتا هو في الأصل كما قال الراغب كالفتات ما تكسر وتفرق من التبن والمراد هنا بالين متفرقين أننا لمبعوثون خلقا جديدا 89 إما مصدر مؤكد من غير لفظه أي لمبعوثون بعثا جديدا وإما حال أي مخلوقين مستأنفين .

أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض أي ألم يتفكروا ولم يعلموا أن الله تعالى الذي قدر على خلق هذه الأجرام والأجسام الشديدة العظيمة التي بعض ما تحويه البشر قادر على أن يخلق مثلهم من الإنس أي ومن هو قادر على ذلك كيف لا يقدر على إعادتهم وهي أهون عليه جل وعلا وقال بعض المحققين : مثل هنا مثلها في مثلك لا يبخل أي قادر على أن يخلقهم والمراد بالخلق الإعادة كما عبر عنها أولا بذلك حيث قيل خلقا جديدا ولا يخلو عن بعد وزعم بعضهم أن المراد قادر على أن يخلق عبيدا آخرين يوحدهونه تعالى ويقروم بكمال قدرته وحكمته ويتركون ذكر هذه الشبهات الفاسدة كقوله تعالى ويأت بخلق جديد